على الاقل، الدوافع لذلك (ضرب اسرائيل وتحرير فلسطين)، إلا أنها لم تظهر **الرغبة** الداهمة في خوضه. ولم يتميز «المنتفضون» ضد حركة «فتح» بحماسهم على القتال إذ أنهم لم يوظفوا سوى جزء يسير من طاقاتهم البشرية والمادية ضد الاحتلال الاسرائيلي في لبنان وفلسطين، وقد تضاعف تلكؤهم بعد أن احتكروا الساحة واحتشدوا بأسلحتهم الثقيلة في البقاع والشوف بعد ايلول (سبتمبر) ١٩٨٣. أو يمكن تلخيص العبرة المستنبطة من هذه التجربة في حقيقة أن الاداء القتالي الجيد ينبع من المنهج السياسي المقاتل قبل أن ينبع من الكفاءة التقنية العسكرية.

انعكس التراجع في رغبة حركة المقاومة الفلسطينية بخوض القتال الرئيسي، بالنزوع نحو اقتناء الاسلحة الثقيلة. وقد دلت تجربتا حرب الجبل في لبنان في نهاية صيف ١٩٨٣ وحرب طرابلس في أواخر العام نفسه على ميل القوات الفلسطينية نحو خوض القتال فحسب ضمن تشكيلات كبيرة مزودة بالاسلحة الثقيلة. ولم يكن هذا الميل بجديد، إذ انه ظهر في النصف الاول من عقد السبعينات، بعد «تجييش» قوات «فتح» في ١٩٧١ ـ ١٩٧٢، وتكرس خلال الحرب الاهلية اللبنانية وما بعدها. غير أن الوحدات أو التنظيمات الوحيدة التي تشبثت باحتفاظها بالتشكيلات الكبيرة والاسلحة الثقيلة، رغم دروس حرب ١٩٨٢ الداعية إلى تبني شكل المجموعات الصغيرة الخفيفة التسلح، كانت تلك التي مارست الحد الادنى فقط من القتال ضد العدو الاسرائيلي. ويجدر التأكيد أنه يمكن للاسلحة الثقيلة، من مدفعية وراجمات صواريخ متعددة الافواه ودبابات ومدافع مضادة للطائرات، أن يكون لها دور ايجابي في القتال الفلسطيني حين تسمح الظروف بذلك، كما دلت تجربة «الستار الناري» الذي قدمته المدفعية الفلسطينية لحماية مخيم تل الزعتر خلال حصاره في العام ١٩٧٦، وتجربة تحدي المدفعية والطائرات الاسرائيلية أثناء حصار بيروت في العام ١٩٨٢. إلا ان الاسلحة الثقيلة عالية الكلفة، بشرياً ومالياً وادارياً ولوجيستيكياً، وهي شديدة التعرض للوسائط المعادية مما يُسهِّل تدميرها وهدر الاستثمار الموضوع فيها.

يظهر من التجربة الفلسطينية في مجال استخدام الاسلحة الثقيلة أن المدفعية قد قدمت مساهمتها الأكبر حين عملت انطلاقاً من مناطق آمنة، لكنها فقدت الكثير من فعاليتها حين اضطرت إلى الانتقال المستمر أو تعرضت إلى الهجوم المباشر، وأن الدروع لم تقدم مساهمة تذكر منذ الحصول عليها العام ١٩٨٠، بل تعرضت الى الشلل والاصابة دون تحقيق مردود يذكر في حرب ١٩٨٢ وحرب الجبل وحرب طرابلس. وقد أدى الاصرار على استخدام الاسلحة الثقيلة، على انواعها، إلى تحويل الموارد البشرية الملموسة من الوحدات القتالية الأمامية نحو العمل كطواقم لتلك الاسلحة، في وقت باتت فيه تلك الموارد البشرية شحيحة متضائلة. ويلاحظ أن غالبية الوحدات العسكرية الفلسطينية قد عادت على الفور، بعد حرب ١٩٨٢، الى التزود بالاسلحة الثقيلة، فرأينا المقاتلين في معسكرات اليمن والجزائر والعراق يستعرضون المدافع وناقلات الجنود المدرعة وطائرات الهليكوبتر، بينما جابت دبابات ت ـ ٥٤ / ٥٥ طرق البقاع والشوف. كما يلاحظ ان الحصول على الأسلحة الثقيلة رافقه الميل نحو العمل بتشكيلات كبيرة، التي تتحرك ببطء فتتعرض إلى النيران المعادية وتحتاج إلى غطاء ناري صديق أقوى. وكانت النتيجة أن تراجع التكتيك القتالي الفلسطيني، وتدنت عناصر المبادرة والابداع والارتجال والاقدام. فقد أبدت القوات المنشقة التي اشتركت في حرب الجبل في صيف